مسؤولية المرأة

مسؤولية المرأة

(مختصر)

د. علي شريعتي

إعداد
حياة شمس الدين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن المسؤولية التي يتحملها كل فرد في المجتمع إن كان رجلاً أو امرأة، هي التي تنهض بالمجتمع وتجعله يتطور نحو الأفضل، لأن الحضارات لا تسقط على الشعوب من السماء ولكنها تُبنى أحجارها بعدد الأفراد الذين يتحملون المسؤولية ويقومون بواجبهم كل حسب طاقته وحسب المواهب التي أعطاها الله له.

لكن للأسف نجد أن معظم البشر، لا يستعملوا هذه الطاقات والمواهب الإلهية في خدمة مجتمعاتهم، ولكن كل واحد يسعى لمصالحه الخاصة، مما يجعل هذه المجتمعات إما متخلفة وفقيرة، وإما مسيطرة ومستبدة، والقوي يأكل الضعيف، ويخسر الجميع. ولو علم كل واحد ما هي مسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الآخرين لتغيَّر الحال، ويحدث كل ذلك بسبب انجرارنا وراء أهوائنا وإهمالنا التعاليم السماوية التي شرَّعها الله لنا.

أعتقد أن الدكتور علي شريعتي بما يحمل من فكر إسلامي متنوِّر وواضح، فإنه دائماً يضع إصبعه على الجرح الذي تتألم منه الأمة، ويُشخِّص لنا المرض ويصِف الدواء بمهارة شديدة.

يتحدث الدكتور في هذا الكتاب عن موضوع «مسؤولية المرأة» وهو من أهم نقاط القوَّة التي يجب أن نتمسَّك بها ونعمل من أجلها لنبني حضارتنا الإسلامية الصحيحة، والتي يجب أن تكون حجرَ الأساس للمستقبل. وإن تباشير هذه

الحضارة قد بدأت والحمد لله في الجمهورية الإسلامية في إيران، بفضل علي شريعتي وأمثاله من العظماء، وبفضل الشعوب المؤمنة التي تقرأ وتتعلم وتعمل بما علِمت، وتتخذ قدوةً لها الأنبياء والأولياء والصالحين والعظماء، ويكون هدفها الأخير هو رضا الله وخدمة خلقه، وتكون النتيجة سعادة الدنيا والآخرة.

حقوق المرأة ودورها

تمثِّل قضية حقوق المرأة ودورها على مدى التاريخ، مسألة علمية وفكرية، إتخذت إزاءها المدارس الفلسفية، والنظم الاجتماعية مواقف متباينة.

ففي العصر الحديث، ومن بعد الحرب العالمية الثانية، طُرحت قضية حقوق المرأة الإنسانية على بساط البحث، وقد تأثرت المجتمعات في الشرق والغرب، بأفكار وتيارات مختلفة، تطالب بحقوق المرأة. وقد انتشرت هذه الأفكار والتيارات في الغرب، وحظيَت بدعمٍ وتأييدٍ من القوى العظمى، وتسلَّلت هذه الأفكار إلى المجتمعات في جميعٍ أرجاء العالم، حتى في الأوساط الدينية والمحافظة.

وللأسف، فقد حاول البعض الوقوف في وجه هذا التيّار الجارف مستنداً إلى تقاليد بالية، وعلى شكل تعصُّبٍ أعمى، وهذا ما جعل المجتمعات الإسلامية عاجزة عن الصمود أمام رياح التغيير. أما المتعلمين الجُدد وأشباه المثقفين فقدر رحَّبوا أشد الترحيب، وكانوا من الذين ساعدوا وكرَّسوا هذا التيار الهدّام باعتباره تقدُّماً وحضارة.

إن أحد العوامل الكبرى القادرة على تحصين المجتمعات الشرقية، ضد الهجمة الفكرية والثقافة الغربية، هو وجود ثقافة غنيَّة ومُثُل سامية تستطيع أن توفر الحقوق الإنسانية للمرأة.

هذه الثقافة موجودة في النظرة الكونية الشاملة التي تتعلق بشؤون المرأة في

القرآن والسنة النبويَّة، ولكن علينا أن نقوم بجهود كبيرة لإظهارها وإثباتها من دون تحريف.

ولا نحتاج إلاّ إلى العثور على السُبل الكفيلة بتطبيق هذه القيم والتعاليم على الصعيد العلمي.

ومن هذه السبل إيجاد قدوة ونموذج قد تحقق بالفعل، وحَمَل هذه القيم النبيلة والسامية، وهذا النموذج هو أفراد بيت صغير، ولكنه مع صُغره، فهو يضاهي ويتفوَّق على التاريخ كله.

وقد إعترف كل من يؤمن بالقيم الإنسانية السامية، بصلاحية هؤلاء الأشخاص الذي تميَّزوا بتطبيق هذه القيم بأعلى مستوى علمي، وكانوا بحق قدوةً ونموذجاً يُحتذى.

إن سيرة فاطمة الزهراء، وأسلوب حياتها ودورها الإجتماعي والفكري والديني، يجعلها قدوة مهمة، يجب دراستها وفهمها بشكل صحيح وهي مفتاح لمعرفة كاملة عن دور المرأة في المجتمع وما يجب أن تكون عليه.

إن قضية المرأة قد أثيرت في الغرب بعد الحرب العالمية الثانية كأهم قضية، إذ أن هذه الحرب قد قوَّضت جميع التقاليد والقيم الإنسانية والدينية، والعادات والتقاليد والأخلاق التي كانت سائدة هناك، وقد تصاعدت وتيرة العنف والقسوة والجريمة في تلك الفترة، وانهار كل شيء فجأة خلال جيل واحد.

وكانت إحدى الإفرازات الطبيعية التي أسفرت عنها، هي إنهيار القيم الأخلاقية التي كانت تحملها المرأة على الدوام. كان الغرب قبل ذلك يخوض صراعاً فلسفياً وفكرياً وحضارياً، ضد مظاهر القرون الوسطى، أي ضد الدين الذي كانت تدعو إليه الكنيسة الكاثوليكية. وقد نَتَج عن هذا الصراع، أن انهارت الحدود والقيود والقيم الأخلاقية التي كانت تدافع عنها الكنيسة باسم الدين، وكانت هذه التقاليد والقيود فيها ظلم كبير على المرأة.

غلبة الثقافة البرجوازية

في عصر النهضة، تنامت الطبقة البرجوازية وكانت ثقافة هذه الطبقة هي الإبتعاد عن الكنيسة والتوجُّه نحو الحرية الفردية.

وعندما انهارت القاعدة الأساسية الدينية سقطت كل القيم الإنسانية والتقاليد الإيجابية منها والسلبية التي تتعلق بالمرأة.

طُرحت بعد ذلك فكرة الحريَّة الجنسية ورحَّب بها الجميع حتى المرأة، لأنها كانت تعتقد أنها مكبَّلة بهذه القيم الدينية وأنها لا تملك حريتها.

ووُجدت حضارة تنادي بالعلم والقضاء على الدين بشكل كامل.

صنعت البرجوازية وثناً إسمه «العلم» وأخرجته على هيئة عجل السامري، وهو عجل ذهبي له خوار، مثلما كانت الإقطاعية تبرِّر الظلم والإستبداد الذي تقوم به الطبقات النبيلة للآخرين وتسمّيه باسم الدين والمسيحية.

استُبدِل النظام الإقطاعي بنظام برجوازي ينادي بأن العلم هو كل شيء، حتى القيم الأخلاقية والإنسانية تحوَّلت إلى أفكارٍ علمية، وكان من العلماء الذين أسَّسوا لهذا المذهب «فرويد»، وهو طبيب نمساوي مؤسس التحليل النفسي، وقد فسَّر كل الدوافع والعواطف والمشاعر الإنسانية، أنها ترجع إلى عوامل جنسية منذ الطفولة.

على كل حال، فإن الطبقة البرجوازية، هي طبقة منحطَّة من الأساس، لأنها لا تؤمن إلا بالمادة. أما الإقطاعية التي كانت تحكم باسم الدين وباسم المسيحية، وهي في الحقيقة لم تكن مسيحية، ولكن كانت تنادي ببعض القيم السامية والنبل والشرف. معنى ذلك أن العالم الذي أصبح يحكمه البرجوازيون، لا يهتم بجميع القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية، ولا يؤمن ألا بالمصالح، فلا وجود للقيم مثل التضحية والإيثار ومكافحة الظلم، وهو ينظر إلى المشاعر والفنون والآداب نظرة ماديَّة مجرَّدة قائمة على أسس اقتصادية بحته، وقد ا بتعد عن المفاهيم الروحية والأمور الغيبية.

فرويد والمرأة

لخَّص «فرويد» الأخلاق والفضائل وكل المظاهر النبيلة المغروسة في فطرة الإنسان، بشيء واحد سمَّاه الواقعية، فتحوَّل الإنسان إلى حيوان مادّي وجنسي.

وصار هذا المفهوم بديلاً عن الأديان والفلسفات والثقافات والقيم الإنسانية كلها، وأوَّل ضحيَّة لهذه الحضارة كانت المرأة.

الشرق والاستعمار الغربي

نحن في الشرق كثيراً ما نتحدث عن الإستعمار الغربي، ولكن في الواقع أن القوى العالمية الكبرى، قد استغلّت الشرق والغرب، ومسخت الشعوب الغربية وسخَّرتها لمصالح هذه القوى العالمية، وكذلك فعلت مع الشعوب الشرقية فقد أثارت قضايا تافهة وجانبية، لتفرقة الشعوب ليبقوا غافلين عن الأهداف الحقيقية لهذه القوى الإستعمارية، فهذه القوى تملك أجهزة تجسس تكنولوجية متطورة، وبالرغم من ذلك نرى أطنان من المخدرات تُنتَج وتُهرَّب من الشرقِ إلى الغرب عن طريق منظَّمات عالمية كبرى، لها في كل أرجاء العالم طائرات خاصَّه وسُفن وموانىء، ودوائر مركزية، وتستخدم آلاف الحيَل والجرائم لاستعباد الشباب، من أجل مصالحها الماديّة، وقد أصبح الإنسان في الشرق والغرب ضحيةً لأطماع هذه القوى.

تحذير العقول

إن أكبر المنتجات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، والأخلاقية، التي أوجدتها هذه القوى، بديلاً عن القيم الدينية والأخلاقية، هي النزعة الجنسية، ولهذا أصبحت السِمَة العامة التي طبعت الفن العالمي، وخاصة «السينما» في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، تتلخَّص في عنصرين، هما:

العنف والجنس

معنى ذلك، أن السينما التي تُدفع من أجلها الملايين من الدولارات لتؤثِّر وتتحكم بالإنسان، وتسخِّر أكفأ علماء الاجتماع وعلم النفس، وأفضل الأساليب الإعلامية، لتخذير عقول البشر.

هذه الأفلام، تساعد في هدم القيمَ الأخلاقية والإنسانية، ليحل محلَّها، الجريمة والرعب والفلتان والفوضى الاجتماعية، وأول ضحايا هذه الحضارة هي المرأة، والأدهى من كل ذلك، أن أشباه العلماء والمثقفين من الدرجة الثالثة و الرابعة، توهّموا أن العلوم الحديثة تؤيد صحة هذا المنهج، وجعلوا من أنفسهم عملاء مجانين لهذه الأفكار.

ولم يعلموا بأنهم بذلك قد خدموا التسلُّط الرأسمالي العالمي بلا أجر، وظنّوا أنهم يخدمون بذلك علم النفس والحرية والعلم.

إن هيمنة هذه السلطة العالمية التي تسعى لسحق الشرق والغرب، فهي أول ما تهتم به هو القضاء على الروح الإنسانية التي تنبض في أعماق الإنسان وخاصةً الشباب منهم.

فهي تستعمل أساليب مخدِّرة في قالب العلم والرياضة والآداب والتاريخ وأكثرها أثراً هي الدعوة الجنسية. إن أول ضحايا هذه المدرسة هم الشباب ليسخِّروا كل طاقاتهم الفكرية والبشرية والاجتماعية لترسيخ هذه الأفكار المنحرفة.

ونتيجة ذلك نرى مدى سرعة إنتشار هذه الثقافة في كل أرجاء العالم.

إغتيال المرأة باسم الدفاع عنها

في الوقت الذي تدعو الثقافة الغربية الفتاة للتحرُّر والإنطلاق بدون قيود ولا حدود، هناك فئة تكافح هذه الأفكار بأساليب جاهلة وساذجة، تعتمد على تقاليد رجعية ومنحرفة وبعيدة عن الفكر والروح الإنسانية، وهي تحاول أن تقف في وجه هذه الموجة الآتية من الغرب. وقد نجحت الدعوة الغربية، ونزعة التحرُّر نجاحاً

كبيراً في البلدان والمجتمعات والمحافظة، حيث تعاني المرأة الحرمان والتعصُّب المقيت، الذي يكبِّل المرأة بالقيود والأغلال، التي تعود إلى تقاليد قديمة وبالية.

ولو أن الطبقة المثقفة بذلت بعض الجهود لفهم التعاليم الإسلامية على حقيقتها، والتي تمنح المرأة حقوقها التي أقرَّها لها الإسلام، نكون قد أعددنا أفضل عنصر في المجتمع في مجابهة هذا التيار الجارف.

المثقف الحديث والأصولي المحافظ

علينا أن نفرِّق بين الدين والتقاليد. لأنهما قضيتان منفصلتان، قد حصل تداخل بينهما على امتداد التاريخ، وغالباً ما أدّى إلى إمتزاج العقائد بالتقاليد، وإلى ظهور مشاعر وعلاقات إجتماعية أخذت على مرِّ الزمن طابعاً قدسياً. وهذه المشاعر والعادات، هي مجرَّد تقاليد قومية وسنن قديمة، لا صلة لها بالدين، وكثيراً ما يكون التعصُّب سبباً للدفاع عن هذا المزيج المتداخل.

وهكذا يجد المثقف الذي يريد الإنعتاق من قيد التقاليد والعادات، أنه قد تخلَّص من التقاليد والدين معاً.

بين الدين والتقاليد

كيف نستطيع التمييز بين الدين والتقاليد؟ نحن نؤمن أن الأحكام والقوانين والحقوق التي جاء بها الإسلام، تنسجم انسجاماً تاماً مع فطرة الإنسان، معنى ذلك أن الفطرة والأحكام الإلهية هما من النواميس الثابتة التي لا تتغير، وأن القيم الإنسانية دائمة ولا يمكن أن تبلى.

أما التقاليد الإجتماعية، فهي تراث للنظام الاقتصادي والثقافي والإجتماعي، وعندما يتغير هذا النظام، يتحول إلى تقاليد قديمة تتَّخذ طابعاً رجعياً يحول دون الرقيّ والتقدم.

عند ذلك يصبح الدين الذي هو ظاهرة حيَّة وخالدة وقادرة على مسايرة

متطلبات العصر، نجده قد تحوَّل وانصهر في قالب التقاليد الجامدة والمنحطَّة، عاجزاً عن أداء دوره الفاعل في حياة أتباعهِ والمؤمنين به، وغير قادر على صيانة تعاليمه من التحريف.

إن المهمة الكبرى التي تقع على عاتق المثقَّف الواعي العارف بالإسلام والتاريخ أن يستخلص هذا الدين من ركام التقاليد البالية، لأنه الدين الكامل والخالد الذي يستطيع تلبية متطلبات كل عصر وزمان. إننا نرى أشخاصاً لا يؤمنون بالدّين، ولكن عندما يقفون على نموذج صحيح لواحد من أهل بيت رسول الله، نجدهم يُذعنون لهم ويعتبرونهم دليل على الحق والحقيقة. وعندما نقول، أن الإسلام دينٌ حيّ بأفكارهِ ومعتقداته وأحكامه، فهو حيٌّ أيضاً بشخصياته المثالية التي صاغها وقدَّمها لبني الإنسان، لذلك نجد أن أي مجتمع بشري. مهما كانت طبيعته ونظامه ومستواه الثقافي والحضاري، عندما يطَّلِع على سيرة هؤلاء الأشخاص السامية، كشخصية الحسين بن عليّ، يرى أنه خليق بالثناء والتقدير، وجديرٌ بأن يقتفي المرء خطاه.

وأن كل امرأة. مهما كانت عقيدتها أو دينها، أو أخلاقها، إن كانت تؤمن بالقيم الخالدة وقرأت وعلمت عن سيرة السيدة زينب، وشجاعتها ونبلها، وقيامها بالمسؤولية، وماذا فعلت في تلك الفترة العصيبة، بعد استشهاد أخيها الحسين، وكيف كانت مظهراً للقيادة الاجتماعية والإنسانية للمرأة.

فقد جسَّدت زينب تعاليم الإسلام الحيّ والقادر على خلق نماذج من النساء والرجال، كزينب والحسين، ليهتدي بهم أبناء البشرية، في أيّ أمّةٍ كانوا وفي أي عصر أو زمان أو مكان.

جاهلية منحطَّة باسم الدين

من المؤسف أننا مزجنا بين التقاليد وبين الدّين، واختلطت العادات الإجتماعية بالشريعة.

التعاليم الدينية خالدة على مدى العصور ولكن العادات والتقاليد هي إرثٌ لنظام إجتماعي وطني أو قومي خاص.

ولهذا يهرب المثقف من الدين، وتعاني المرأة الحرمان من حقوقها المسحوقة، ويلجأ الجميع إلى حضارة منحرفة، لا تعرف إلاّ مصالح القويّ المسيطر، الذي ينهب الشعوب الفقيرة، بدل أن يعطيها حقوقها. وإذا كان علماء الدين في المجتمع الإسلامي عاجزين عن الفصل بين الدين والتقاليد، فهل يستطيع الشباب المثقف وحده أن يقوم بهذه المهمَّة؟

في المجتمع الجاهلي، كانوا لا يذكرون اسم المرأة ولا يعترفون بوجودها، وجاء الإسلام ليعطيها مكانتها.

والسؤال اليوم. لماذا بقيت المرأة محرومة من حقوقها؟

على الجميع من علماء ومثقفين أن يدققوا ويعرفوا ما هي حقوق المرأة في الإسلام وأن يقرؤا التاريخ وسيرة النساء من آل الرسول وغيرهنَّ من المسلمات الأوائل اللاتي اتبعَّن نهج الإسلام الصحيح غير المحرَّف.

الرسول والمرأة

يروى أن الرسول لما أراد المسير إلى «حنين» التي حصلت فيها معركة بين المسلمين والمشركين، وهي تقع بين جدَّة والمدينة يعني قطع مسافه أربعمائة كيلومتر، جاءه عدد من النساء والفتيات من المدينة وطلبت منه السماح لهنَّ بالمسير مع جيشه لمداواة الجرحى، فوافق الرسول فوراً، وكان في مسجد الرسول مركزاً في أحد أركانه، لنشاطات اجتماعية نسائية كنَّ يداوين جرحى الحرب، وبقيت هذه السُّنة جارية لعدة قرون في الإسلام.

علينا اليوم أن نتحمَّل مسؤولية فهم الإسلام الحقيقي، وأن نلغي الفاصل الزمني الذي بدأ فيه الإنحطاط الإسلامي على امتداد إثني عشر قرناً، لأن اليوم معظم المسلمين الذين يعيشون في القرن العشرين، ترجع أفكارهم ومشاعرهم إلى ما قبل هذه القرون.

الدين هو المناعة الكبرى

إن من أهم أسباب المناعة، التي يمكن أن تتسلَّح الأمَّة الإسلامية لمجابهة الثقافة الغربية الإستعمارية الوافدة إلينا تحت غطاء العلم والحريَّة، هو وجود الدّين والثقافة الإسلامية الصحيحة.

إن القوى الاستعمارية تعمل على تخدير الشباب في الشرق والغرب، ليغرق الجميع في ثقافة حريَّة الجنس، وإبعادهم عن الحريات الإنسانية الحقيقية.

ومن العوامل المهمة التي تساعد الشباب على رفض ومحاربة هذه الهجمة هو وجود قدوات ونماذج إنسانية مشرقة يجب رسم صورها على جبين الدهر فإذا أرادت المرأة إختيار واحد من هذه النماذج، فهي لا تختار النموذج المستورد، ولا النموذج التقليدي الرجعي، وإنما تختار النموذج والنهج الذي أراده الإسلام للمرأة.

تجتمع هذه النماذج في غرفة واحدة لآل رسول الله وهم فاطمة وعلي والحسن والحسين وزينب، فكل واحد من هؤلاء سيرة تظلُّ عبر التاريخ منارةً وقدوةً لكل من أراد الحق والعدل.

فاطمة تجسد المرأة المثالية المجاهدة وعلي هو نموذج للإنسان الكامل، والحسن والحسين هما قدوة في السلم والحرب، وزينب في حمل أثقل رسالة اجتماعية.

وعندما يقول الرسول لفاطمة: «ألا تريدين أن تكوني سيدةً لنساء العالمين؟». فهذا ليس من باب المجاملة التي يثني فيها أب على إبنته، لأن الرسول لا يقوم بأمثال هذه المجاملات، بل يقول عن فاطمة لو أنها سرقت لقطعت يدها، عندما ردّ على أحد الصحابة وهو أسامة بن زيد، الذي جاء متشفعاً لامرأة أخطأت.

وقال لفاطمة في موضع آخر: «إن أباك لن يغني عنك شيئاً يوم القيامة». كانت علاقات الرسول جادَّة وحازمة ولا مجال للمزاح والمجاملة فيها.

وكان يوصي إبنته بالصبر والتحمُّل والنهوض بأعباء المسؤولية الملقاة على عاتقها.

أراد الرسول من فاطمة، أن تكون مثالاً وقدوة لتُعلِّم النساء الدروس وتطبِّقها في حياتها وهذا معنى «سيدة نساء العالمين»، كيف نستطيع أن نأخذ الدروس من حياة السيدة فاطمة؟

إن المساعي التي بذلتها فاطمة من أجل استعادة «فدَك» كان الهدف منها، هو الإعلان المتواصل عن غصب الحقوق، والعمل من أجل استعادتها، وتعبيراً عن غضبها لإنحراف النظام الحاكم الذي كانت فاطمة تعارضه.

وكان الإعتراض على هذه المسألة، هو نموذج عن الإعتراض على شرعية هذا النظام الذي تسلَّم السلطة على رغم كل التبريرات الدينية، وعلى الرغم مما كان للصحابة من سلطة وسطوَة.

وقد سعت فاطمة بقوَّة للكشف عن زيف الإنتخابات التي حصلت في السقيفة وجهادها المرير من أجل إحقاق الحقّ، لا من أجل قضيّةٍ شخصيَّة.

واليوم تتكرَّر هكذا مواضيع، فيجب التحدث عنها، لنأخذ الدروس من سيّدة هي ربّة منزل لها زوج وأولاد، ولكنها ذات فكر وعقيدة وجهاد.

كانت فاطمة منذ طفولتها حتى زواجها، امرأة تحمل مسؤولية، وتجابه الإنحراف والظلم الموجود في المجتمع، ولها مشاركة وحضور فاعل في قلب الأحداث الإجتماعية ولم تلزم الصمت حتى لحظة وفاتها، بالرغم من معرفتها، أن هذا الجهاد لن يعود عليها بالنصر، ولكنه درسٌ ومسؤولية إجتماعية.

في أيام الحصار في شُعَب أبي طالب الذي كان يرتجف من هولهِ وقسوتهِ الصحابةُ الكبار، كانت فاطمة صامدة وصابرة، تجابه الكثير من المصاعب، إلى حين الهجرة إلى المدينة المنوَّرة، وقد ذاقت أثناء الهجرة أقسى المآسي والويلات.

ثم عندما تزوجت بعليّ وقد اختارته وهي تعرف والكل يعرف من هو عليّ وكيف كانت حياته كلها زهد وجهاد، وتعلم أنه لا يملك إلا المحبة والشجاعة والجهاد من أجل الدعوة إلى هذا الدين، وقد تمسَّكت فاطمة بهذه الرسالة حتى يوم وفاتها.

يا لها من أسرةٍ فريدة على مدى التاريخ، التي أنشأتها فاطمة، يرى الإنسان مسلماً كان أو غير مسلم، أن أفراد هذه الأسرة ملائكة قد تفوَّقوا على الطبيعة البشرية.

إنه لمن المؤسف والمؤلم حقاً أن تنتهي أسرة بمثل هذه الخلفية الدينية والثقافية إلى ذلك المصير.

تقول عائشة زوجة الرسول، مع كل ما كانت تشعر به من مُنافسة مع فاطمة على قلب الرسول، تقول معترفة: «ما رأيت أفضل من فاطمة إلا أباها». ومن يريد أن يعرف عن النساء اللاتي كنَّ قدوة وإسوة في تاريخ الإسلام لوجد أسماء كثيرة لها أدوار مهمة في مختلف المجالات.

ولكن بعد أن دخل المسلمون عصر الإنحطاط نضَبت طاقات النساء، ولكن التاريخ يبيّن لنا أن لا فرق بين الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي.

على المثقف اليوم أن يتعرَّف إلى شخصية زينب التي شهدت ثورة الإمام الحسين وهي لم تكن تؤدي مسؤوليتها تجاه أخيها فحسب، ولكنها أدّت المسؤولية من أجل نفسها ومن أجل ربِّها.

تركت زينب أسرتها ودارها وزوجها، وسارت في ركاب الثورة، وكانت تقتفي خطى الإمام الحسين إلى أن استشهد، ومرَّت عليها ظروف ولحظات، أشد وأمرّ من اللحظات التي مرَّت على الحسين وأنصاره، فقد تناولت لواء الثورة بمفردها، وأظهرت كل البسالة والصلابة، وبدون تقيَّةٍ ولا مواربة بالكلمة الفصيحة والبليغة، أظهرت الحقائق التي أظهرها الحسين بدمهِ، وصرخت بوجه كل طاغية، وبذرت في كل أرضٍ وطِأتها قدمُها منفيَّةً أو مسبيَّةً، بذور الثورة فنمت هناك

وأينعت محبةً لأهل البيت حتى في البلدان التي لا تميل إلى التشيُّع علانيةً، بعد أن انهارت جميع القوى وتحطَّمت جميع المواقع التي كان يدافع عنها الرجال.

وبالرغم من إستيلاء أمبراطورية الخلافة على الشرق والغرب، ودحر الروم والفرس، اضطلعت امرأة واحدة بمواصلة تلك الثورة على الظلم، ونشرت في كل مكان فِكر الحسين ومدرسة الحسين.

وأخذت حيثما ذهبت، قطرة دمٍ تعرضُها على مدى الزمان كنموذج للدم الذي أُريق في كربلاء، وكانت هذه المعجزات كلها من فعل امرأة واحدة.

بيت فاطمة

لقد كان دور فاطمة في تنشئة زينب أهم من دورها في تنشئة الحسين، لأن الحسين شبَّ في مسجد الرسول وبين الصحابة، وفي أيام الصراع الذي كان محتدماً في المدينة، وفي قلب الأحداث الإجتماعية.

ولكن زينب تربَّت في دار أبيها وفي حِجرِ أمها، وقد استطاعت أن تؤدي فيما بعد ذلك الدور المكمِّل لثورة الحسين مما يدل على براعة فاطمة في تربية تلك النفوس السامية، إن هذا البيت كان في كل أبعاده مثالاً في تجسيد القيَم الإنسانية، حتى أضحت عترة الرسول ملاكاً ملهماً لمعرفة الإسلام في كل عصر.

بعد وفاة الرسول، حلّ عهد عصيب، وبقيت فاطمة مظهراً للفقر ومكابدة المشقة والعمل في البيت وخارجه، وهي كانت كذلك في دورة العزّ والإقتدار حين كان أبوها قائد النهضة، وزوجها أبرز بطل فيها، تعيش كأي امرأة أخرى مجاهدة.

في ذلك العهد الذي جاء بعد الرسول فرض عليها أن تقوم بالمهمة الصعبة بعد أن صَمَت الصحابة ورجال بدر وحنين حتى أنها كانت تطرقُ دور الصحابة، وتقابل وجوه القوم والشخصيات السياسية وتبدي آراءها وتوجِّه وتنصح بالخُطَب البليغة فكان دورها الإجتماعي يتجسَّد في استشراف الفاجعة وتحليل الأسباب التي أدّت لها وكشف وقائع المستقبل أمام الأبصار. وبعد وفاتها، كانت رمزاً

ومظهراً لكل دعوة حق، ولكل حركةٍ ثورية انطلقت في القرون التالية الثاني والثالث والرابع وحتى القرنين السابع والثامن، وعلى امتداد تاريخ الإسلام ومن مصر إلى إيران. وفاطمة اليوم قادرة على تربية المرأة المسلمة.

فهي بصفتها أماً ربَّت بنتاً كزينب وأبناء كالحسن والحسين، وواكبت زوجها عليّ فيما عاناه من مصاعب.

وبصفتها امرأة ذات مسؤولية إجتماعية لم تتوقف عن الجهاد لحظةً واحدة، منذ ولادتها وإلى أن دُفنت وحيدةً غريبة، فقد حاربت على الصعيد الخارجي ضد جبهة الكفر حتى يوم الهجرة، وحاربت على الصعيد الداخلي ضد الإنحراف.

وحتى بعد الموت فقد أوصت عليّاً، وقالت: يا عليّ، أدفنّي ليلاً كي لا يحضروا عند قبري ولا يُصلّوا عليَّ، ولا يستغلّوا إسمي لتبرير غصبهم للخلافة فهي تريد أن تجعل من موتها ودفنها وسيلة لمناصرة الحق ومجاهدة الباطل، فهذه المرأة خليقة بأن تكون مثالاً يُحتذى به من امرأة عصرية.

بين الغرب والجاهلية

إن الأسرة في مجتمعاتنا تميل إلى الغرب من جهة، وإلى الجاهلية من جهة أخرى، بمعنى أننا متغرِّبون من حيث المظاهر الإجتماعية، في حين أننا نميل إلى بعض القيم الجاهلية.

وفي كل الأحوال، فإننا إذا ابتعدنا عن الإسلام، فقد ننساق إلى أي اتجاه آخر. إن روح المجتمع القديم في الغرب، كانت روحاً واحدة في مجتمع واحد، وقد استحالت اليوم إلى نزعات فردية مفكَّكة، وأدَّى هذا الإتجاه إلى زعزعة كيان الأسرة، لأن المرأة أصبحت فرد مستقل بذاته.

هناك فرق بين الإسلام الذي يقول بأصالة الأسرة، والغرب الذي يدعو إلى الأصالة الفرديَّة للمرأة.

الغرب ينظر إلى الزواج، وكأنه مشاركة في تدبير شؤون البيت، وليس إقتراناً وتقارباً بين الرجل والمرأة وكأنهما نصفان يكمل أحدهما الآخر، فالعلاقة الزوجية ليست شراكة وإنما هي كيان واحد إسمه الأسرة.

العلاقة الزوجية في المفهوم الإسلامي هي بعكس ما يظنه الغرب وأشباه المثقفين في بلادنا، بأن المرأة لا حقوق لها على الزوج يستدلّون بذلك على تصرفات بعض المسلمين بدلاً من التعاليم الإسلامية الحقيقية.

لو عدنا لمنطق الإسلام لتكشَّف لنا ما يُوليه الإسلام من إحترام كبير للمرأة واعتبارها قيمة إنسانية كبرى، لوجدنا أن هذا المنطق لا يضاهيه أي منطق آخر، ولو تطرقنا لموضع الإسلام والمرأة لوجدنا الكثير من التعاليم والأحكام التي

يجهلها الكثير من المسلمين، ويعتبرونها مجرَّد نصائح أخلاقية، ولكن في الحقيقة، هي تعاليم وحقوق ثابتة نزل بها الوحي. ومن هذه التعاليم:

ـ إلتزام الرجل بتوفير نفقات الأسرة، وجميع المصاريف التي تحتاجها المرأة.

ـ إحترام حق الزوجة في الملكية الفردية وهذا حق ينفرد به الإسلام دون سواه من الأديان والمذاهب، ولها حريَّة التصرف فيما تملك، وفي الوقت ذاته يتحمَّل الزوج جميع المصاريف.

وهناك الكثير من الحقوق مذكورة في كتب الفقه.

قضيّة تعدد الزوجات

إن قضية تعدد الزوجات، مسألة تستوجبها الظروف الإجتماعية، والمراحل التاريخية في بعض الأحيان.

ولكن مما يثير الأسى والأسف، أن بعض الممارسات والتطبيقات، كثيراً ما تتخذ طابعاً قبيحاً يتعذَّر تبريره أو الدفاع عنه، مما يجعله موضع إتهام في رأي الإنسان المثقف، وهو في الحقيقة محقَّاً في إدانة مثل هذه الممارسات.

وبما أنه من غير الممكن أن يقوم الجميع بدراسة الحالات الموجودة في واقع الحياة، والتمييز بينها وبين جوهر وحقيقة الأحكام الإسلامية، فقد أدَّى ذلك إلى أن ينظر الجيل الشاب نظرة ريبة واستهجان إلى قضية تعدُّد الزوجات.

إن الأحكام الإسلامية المطروحة بشأن هذه القضية، هي أحكام سامية ونبيلة وعلمية، وهي تمثل حلّ لكثير من الحالات.

إن تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية، هو ضرورة تقتضيها الحالة الإجتماعية، وليست للنزوات الجنسية. وهذا ما يتضِّح في نصوص الآيات القرآنية التي شرَّعت تعدُّد الزوجات.

بعد الحرب العالمية الثانية، قامت بعض الحركات والنقابات النسائية هناك، ودعت فيها إلى إزالة القيود المفروضة على الزواج بعد أن راح ضحية الحرب،

ثمانية ملايين إنسان، والغالبية العظمى منهم رجال وقد توصَّلوا هم بأنفسهم إلى أن الحلَّ هو بتعدد الزوجات.

وفي الجزائر، أصدرت جبهة التحرير الجزائرية كتاباً من مجلدين يضم مجموعة بيانات، أحد هذه البيانات هو ضرورة تعدد الزوجات لأن المجتمع الجزائري كان يخوض جهاداً بلا هوادة ضد الإستعمار الفرنسي.

أشار ذلك البيان إلى الخسائر التي يتكبدها المجاهدون وكثرة سقوط الشهداء في المعارك، وأن من أكبر المآسي التي بَرزَت، أن الشخص الذي يستحق الحياة أكثر من غيره، يُقدِّم حياته فداءً لعقيدته ولأمَّته، ويبقى أولاده وزوجته بلا كفيلٍ ولا معيل، وهذا ظلم كبير لعائلات الشهداء، وحثَّت الجبهة في ختام بيانها المجاهدون، سواء المتزوجين أو العازبين على الزواج من أرامل الشهداء بهدف تكفّل أبنائهم.

زواج المتعة

إن موضوع الزواج المؤقت، يمكن النظر إليه بأنه أسلوب حلّ لبعض الشباب الذي يعاني من بعض الظروف التي تمنعه من الزواج الدائم.

إن التحليل العلمي القائم على أساس علم الإجتماع وعلم النفس يؤكد أن هذا النوع من الزواج هو أفضل حلّ، بل هو الأسلوب الوحيد للقضايا الجنسية التي يعاني منها جيل الشباب في عالم اليوم.

ولكن هذا الموضوع أُثير حوله الكثير من التُّهم، ويجب الدفاع عنه وإزالة التصورات الذهنية الخاطئة التي يحملها البعض بشأنه.

ويجب أن يتخذ بعد ذلك مكانته الحقيقية بصفته أفضل حلّ لمعضلة الشباب في العالم كلّه، مع شرح الحكمة المبتغاة من وراء هكذا تشريع.

ولكن يجب الإبتعاد عن إستغلال هذا الحكم الشرعي لممارسات خاطئة، حتى لا يتناقض مع جوهر وروح تلك الأحكام هذا الموضوع يستلزم شرحاً أوسع لمعرفة الأسباب التي شُرِّع من أجلها هذا الحكم.

الحجاب

الظاهرة المشتركة لدى جميع الأمهات والآباء، هي أنهم يُبلِّغون الدين، وكأنهم ينفخون في البوق من نهايته.

وإذا أردنا أن نبدأ البحث في هذه القضية، علينا أن نبحث عن العوامل التي تؤدي إلى هذه المتاعب مع الجيل الشاب، ومعرفة جذورها.

نذكر على سبيل المثال: عندما نقول للطفل هيّا نذهب في زيارة، نراه ينهض مسروراً ويتأهب بكل إنشراح، وهكذا بالنسبة للذهاب إلى مجلس قراءة القرآن والصلاة والصوم.

ولكن هذا العزم والإندفاع نحو الأمور الدينية، يبدأ يتلاشى ويضمحِّل بعد ذلك أكثر فأكثر.

ثم نبدأ ندعو هذا الولد بالشدَّة أو باللين ليصلّي مثل ما كان يصلي في الماضي. أو ندعو الفتاة لارتداء ثياب محتشمة كما كانت تفعل في الماضي.

ثم يبدأ الأهل يُكرهون أولادهم على الصلاة وعلى الحجاب، وتكون النتيجة هي إنقطاع هؤلاء الأولاد عن القيام بهذه الشعائر، ونكون بذلك قد غرسنا فيهم النفور إلى الأبد من الدين.

إذاً ما الذي ينبغي عمله؟

إذا أردنا أن نجد الأسلوب الأفضل للدعوة إلى الدين، علينا أن نتعلَّم من الأسلوب الذي اتبعه رسول الله ﷺ، عندما بدأ بدعوته.

والمعروف أن رسول الله ﷺ لم يبلِّغ أحكام وعقائد رسالته خلال سنه واحدة ولكنه طرحها تدريجياً على مدى 23 سنة.

طرح أولاً: مسألة التوحيد.

قال للناس: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وبقي يركِّز على هذه المهمة مدَّة ثلاث سنوات، من غير أن يُضيف إليها كلمة أخرى.

ولم يكن حينها صلاة ولا صوم ولا حج ولا زكاة ولا قيود ولا حدود.

كان هناك شيء واحد فقط، وهو أمر فكريّ يتلخص في إخراج الإعتقاد بالأصنام من أذهان المشركين، وغرس الإيمان بالله في نفوسهم.

وهذا يعني أن الأشخاص الذين أسلموا في السنة الأولى وآمنوا بالتوحيد ثم ماتوا مسلمين، وربما كانوا يشربون الخمر ولا يصلون ولا يصومون ولم يحجّوا ولم يجاهدوا بل لعلّهم كانوا يأكلون الرِّبا، لأن حرمة الرِّبا أعلنها رسول الله في حُجّة الوداع، فهؤلاء قد ماتوا وهم مسلمون مؤمنون وعندما انتشر فكر التوحيد وتجذَّر في الأذهان، أصبحت نفوس القوم مهيأة للخطوة التالية، حتى أن المسلمين صاروا هم من يسأل عن تكاليف كالصلاة وغيرها وكان الرسول يجيبهم ويعلِّمهم، فكانت الصلاة في أول الأمر وهي من ركعتين فقط ثم بعد ذلك تكاملت.

ثم كان الجهاد، ولكن بصيغة الدفاع عن النفس، وبقوا كذلك حتى السنة الثانية عشرة، أي قبل الهجرة إلى المدينة، وبعدها طُرح مفهوم الجهاد ضد الكفار والمشركين في السنة الثانية للهجرة في المدينة. ثم عُرضت فكرة الخمس على الغنائم، أي أن الجماعة المسلمة أصبحت على درجة عالية من الإيمان بحيث أصبحوا مستعدين لتقديم ضريبة على أموالهم وإخراج الخمس منها.

وهكذا الحال بالنسبة إلى مسألة شرب الخمر.

في البداية لم يقل لهم النبي: أيها الناس، أيها العرب، بما أنكم أصبحتم موحدين، فيجب أن تكون أعمالكم كلها صحيحة وصالحة، ولكنه طرح هذه

المسألة في السنوات الأخيرة من بعثته، وعلى ثلاثة مراحل، وفقاً لمنهج تربوي وليس بالإكراه.

ـ في المرحلة الأولى، قال لهم:

﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ يعني لم يحرِّم عليهم الخمر كليّاً، وإنما أمرهم أن لا يرتادوا المساجد وأماكن الصلاة وهم سكارى يتأرجحون، ورائحة الخمر تفوح من أفواههم.

ومن الطبيعي أن يلقى هذا لاشرط آذاناً صاغية من شاربي الخمر الذين صاروا يؤمنون بالله وبوجوب الصلاة، فلا يشربون الخمر قبل مواعيد الصلاة بفترة.

وفي المرحلة الثانية، جاءت الآية تعاتب المسلمين عتاباً رقيقاً، فتقول:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وفي هذه الحالة يجد المرأ نفسه ملزماً بالإصغاء لهذا الكلام المتنوِّر البعيد عن التعصُّب، الذيب لا يرى في شرب الخمر عفريتاً بخِساً أو جنّاً أو شيئاً لا يمكن تصورُّه بل يعترف بفوائده ولكنه يرفضه لما يترتب عليه من أضرار صحيَّة واجتماعية.

وعندما بلغت الدعوة الإسلامية، هذه المرحلة من التكامل، وطرحت مفاهيم الجهاد والشهادة والفتح، جاء الأمر الإلهي هذه المرَّة قاطعاً حاسماً، يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾.

وكان هذا الأمر الإلهي قد جاء بعد تهيئة النفوس مدة عشرون سنة، وقد حان الوقت لمكافحة هذه الآفة التي تتحكم في المجتمع، صار المسلمون يومها يُريقون الخمر في الشوارع ويرمون أوعيتها، وقد ذكر المؤرخون، أن البيوت لم يبق فيها أي أثرٍ للخمر، وقد حصل ذلك بدون أيّ من قوى الشرطة وبدون سطوة جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يحصل اليوم في بعض البلاد الإسلاميَّة.

كان السبب في نجاح هذه المهمة، هو إتباع منهج علمي وأسلوب صحيح وسليم. إننا اليوم نجد الكثير من الدعاة باسم الإسلام يسارعون إلى وصف الآخرين بالكفر والشرك لأسباب تافهة وجانبية فينفِّرون الناس من هذا الدين ويبعدونهم عنه.

مسألة الحجاب

في السنة السابعة للهجرة طُرحت مسألة الحجاب، وهذا يعني أن هذه المسألة طُرحت بعدما يقارب عشرين سنة من الجهود التي بذلها الرسول لإعداد أولئك القوم.

يقول الدكتور علي شريعتي:

من خلال عملي في سلك التعليم، وطيلة هذه السنوات التي عملت فيها، وقد تحدَّثت عن مجمل المسائل الدينية، ولكني لم أقُم بأي دعوة مباشرة إلى الصلاة أو إرتداء الحجاب، لأنني من خلال اختصاصي بعلم الإجتماع. أعرف أن هذا الكلام وهذه الدعوة لا تأثير لها، إذا لم يكن هناك إقتناع كامل بالمنظومة الكاملة لهذا الدين.

وقد كان لي تجربة في حسينية الإرشاد أُحب أن يطّلع عليها الآخرون، وهي أن بعض السيدات كنَّ يأتين لتسجيل أسمائهن في الدورات التثقيفية التي تقام فيها، وبعضهن كنَّ سافرات، ويرتدين ثياباً من أحدث الموضة الأوروبية، وكان هذا المظهر يبعث الرعب في قلوب بعض الأشخاص المتدينين، وقد احتاروا كيف يتصرفوا معهنَّ، فحاول بعضهم أن يأتي بعباءات، ويطلبون من السيدات إرتداءها قبل الدخول، فكانت بعضهن ترمي الثياب جانباً.

ولكن بالرغم من ذلك كن نجد أن الكثير من هذه السيدات عدن وتحجَّبن مع أن أحداً لم يتحدث معنَّ إطلاقاً عن مسألة الحجاب.

إن المرأة عندما تأتي لحضور هكذا دورات ثقافية، تأتي عادة بلا دين، ولا تنتمي إلى أي معتقد معيَّن، بل قد تكون تحمل فكراً مناهضاً للدين، وهي معجبة

بالمرأة الغربية المتحضّرة بنظرها وهي قد اعتادت على رؤيتها في معظم الأمكنة، في التلفزيون ووسائل الإعلام وهي تنسجم معها كثيراً، فما العمل؟ هل ندعو هذه السيدة إلى السير على طريق السيدة زينب؟ فهذا كلام لا فائدة منه بالطبع.

فما الحل إذن؟ وكيف يمكن تغيير هذه السيدة أو الفتاة؟

هذا التغيير لا يتحقق إلا باقتلاع جذور علاقتها مع ذلك الصَّنم الذي في ذهنها، لأن الأصنام التي تُعبد اليوم هي من هذا النوع.

عندما نقدِّم لهذه السيدة، قيَماً أفضل من قيم هذه المرأة الحديثة، تجد هذه الفتاة في نفسها إنشداداً وإيماناً بهذه القيَم، عند ذلك ستندفع تلقائياً إلى التمسُّك برموز هذه القيم من غير أن تشعر بالدونية.

وهذا الأمر لا يقتصر على الإسلام فحسب بل هو موجود على امتداد التاريخ البشري، إننا نرى في التاريخ الصيني كيف كانت الفتاة الصينية، عبارة عن دُمية ملوَّنة، تحب أن تقلدها كل نساء العالم في ذلك الوقت، لأنها كانت بارعة في تزيين نفسها.

كان الشعراء في معظم بلاد العالم يُطرون جمال المرأة الصينية، وقد وجد في كتب منذ 4000 آلاف سنة تتحدث عن موضوعات إغراء تلك المرأة. بينما نجد اليوم أن المرأة الصينية تلبس الثياب الخشنة والبسيطة، ولا تشعر بالدونية، بل تشعر بالتفوُّق على المرأة الأوروبية التي قضت عمرها أمام المرآة تزيّن نفسها، ويعود سبب ذلك، أن المرأة الصينية تعتبر نفسها اليوم امرأة ثورية وعقائدية وتنظر إلى المرأة الأوروبية كالدمية المتحركة لا قيمة لها، مع أن الحضارة الغربية اليوم متفوّقة على الحضارة الصينية، ولكن المرأة الصينية تنتمي إلى فكر وأيدولوجية، وهذه الثياب التي تلبسها اليوم تمثل فكر هذه المرأة الصينية التي تنتمي إليه، ويجسد نضالها في سبيل هذه الأيدلوجية التي تؤمن بها، أما المرأة البرجوازية الغربية فهي ترمز إلى مقدار ما يملك أباها أو زوجها، أو ما تجنيه من الأموال، في كل الأحوال فهي ترمز إلى المال.

تغيُّر القيَم

في مجتمعاتنا الإسلامية، كان يُنظر للفتاة المحجَّبة في الجامعة على أنها متعصِّبة، ومتخلِّفة إجتماعياً وإقتصادياً وحضارياً وأنها فقيرة لدرجة أنها تتخذ العباءة ستراً لها، ولما ترتديه من ثياب رثّة.

أما اليوم وقد ذهبت تلك المرحلة، وجاء عهد ظهر فيه الإسلام من جديد لا كتقليد موروث، بل كأيدولوجية جديدة ومسؤولية إنسانية، فقد ظهر هذا الفكر فوراً على سلوك الفتيات.

في السابق كانت أغلب الأسئلة من الآباء والأمهات، يشكون تطرُّف أبناءهم في تقليد الزي الغربي، أما حالياً فإن أولئك الأشخاص أنفسهم يشكون من تطرُّف الأبناء بالعودة إلى القيَم الدينية ومحاربة المظاهر الغربية.

الشيء الذي تغيَّر اليوم هو معرفة القيَم والوعي، وفهم منهج فكري معيَّن.

نظرتان حول مسألة الحجاب

النوع الأول: هو إرتداء الحجاب الذي هو من التقاليد السائدة بين الأمهات والعمّات والخالات، وعموم البيئة الإجتماعية، وهو لباس تقليدي موروث، وبطبيعة الحال يرمز إلى العادات القديمة التي تسير نحو الزوال.

النوع الآخر: الحجاب الذي يرمز إلى نموذج الفتاة التي تحمل الفكر العقائدي الديني الذي درسته وعرفته واقتنعت به.

فالحجاب بمعناه الأول، لا يرمز إلى أي قيَم إنسانية، وإنما هو عادة وتقليد وراثي، ونرى هذه المرأة عندما تسافر إلى أي بلد أجنبي وتشاهد النساء السافرات وتشعر بأنهن لا يشكين من شيء، فتجد نفسها لا تتورع أن تنبذ الحجاب كليّاً. أما الحجاب الذي تتمسك به المرأة المتعلّمة والمثقفة ثقافة إسلامية واعية، فهذ الجيل من الفتيات يرتدين الزي الإسلامي ليعلِنَّ للجميع بما فيه الإستعمار الغربي والثقافة الغربية، وتقول لهم:

إنكم تحايلتم علينا عشرات السنين ورسمتم لنا المخططات لإدخالنا في الثقافة الغربية، ونحن نقول لكم اليوم، بزيِّنا هذا أننا سنسقط جميع هذه المخططات ولن تستطيعوا أن تُغيّروا قيَمنا وديننا.

ومن الطبيعي أن لا ينظر المرء لهكذا فتاة بالدونية، بل بالعكس فإنه سيشعر بتفوقها وأفضليتها على غيرها من الفتيات السافرات.

يقول د. علي شريعتي:

سألني شخص ذات يوم عن الحجاب، فقلت بصراحة، أنا لست فقيهاً ولكني عالم اجتماع ولكن سأشرح لك عن المجتمع المسلم عندنا كيف يتكون.

المجتمع عندنا يتألف من ثلاثة شرائح:

ـ الشريحة الأكبر، وهم الأكثرية من الناس البسطاء ونساؤهم يرتدون الحجاب كتقليد ويحملون فكراً متخلفاً، ولو أتيحت الفرصة لإحدى النساء منهن لتذهب إلى الغرب وتعيش هناك لعادت إليك كواحدة من نسائهم.

ـ الشريحة الثانية هي عبارة عن فئة من المتعلمين وأكثرهم من أصحاب الدراسات العليا، ويجيدون قليلاً اللغة الإنكليزية ولديهم إطلاع على الثقافة الغربية، ومنهم من هاجر إلى الخارج وهم يعيشون حياة إجتماعية جيدة، ونساء هذه الشريحة الإجتماعية سافرات.

ـ أما الشريحة الثالثة، فهم من الذين ينتمون إلى الجيل الجديد من المتعلمات اللواتي يحملن الشهادات ولكن على مستوى عالٍ من الثقافة هذه الطبقة ممن يحملن ثقافة إسلامية وقد وصلن إلى مرحلة الإيمان بخط فكري معيَّن، وممن تحمَّلن المسؤولية وإتخاذ الموقف الصحيح والمعتدل.

وأعتقد أن هذه المرحلة هي الأرقى في العلم والثقافة، فهذا الشخص إن كان رجلاً أو امرأة فهو يختار سبيله ومساره وحياته وتفكيره، ويصنع نفسه بنفسه، ولا يستسلم لما يقال له في التلفزيون وفي وسائل الإعلام، وفي هذه الحالة لن يتجرأ أحد أن يختار له شكل ولون ثيابه، وهذا ما ينعكس بقوَّة على الحجاب.

مسؤولينا:

على الأب الذي يرغب أن ترتدي إبنته الحجاب أن يبيّن لها الفرق بين الحجاب الموروث، وبين الحجاب كرمز لمجابهة الحضارة الغربية، والثقافة التي يريدون إكراهنا عليها، وقد تآمر الغرب على بلادنا الإسلامية منذ سنوات طويلة ليُغيّر ثقافتنا وهويتنا، ومن الأمور التي تساعدنا على التمسُّك بعقيدتنا وقيمنا الإسلامية، هي هذه المعارف والمعاني السامية التي تشعر المرأة بالعزَّة والكرامة عندما ترتدي الحجاب.

السيدة أنديرا غاندي، وهي رئيسة وزراء الهند عام 1984، كانت لا تشعر بالدونية عندما ترتدي الساري، الذي يعود تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة، وكانت تقابل فيه كبار رؤساء العالم، وتذهب بهذا الزي إلى عواصم العالم الغربي والأمم المتحدة مما يدل على ثقتها بنفسها وبهويتها والإعتزاز بتقاليد بلادها.

وعندما تترسخ هذه الثقافة الواعية عند المرأة، فإنها تصبح قدوة لبقية النساء ببلدها، وأنها ليست مجرد ألعوبة يصنعها الآخرون وعلى ضوء ذلك يتبيّن أن تغيير الأفكار هي التي تغيّر جوهر الإنسان، وتجعل الفتيات يسارعن في اختيار الحجاب من تلقاء أنفسهن، ويصبح هناك إنسجام ومحبة بين المرأة وبين هذا العالم العقائدي الذي تنتمي إليه.

اليوم لا يمثِّل هذا الزي العودة إلى التقاليد، بل هو تقدُّم على الحداثة واستباق لكل ما هو حديث، وقفزه فوق درجات الإيمان والمسؤولية، وانتقال من مرحلة فهم ومعرفة ودراسة، إلى مرحلة جهادية.

أسئلة الحضور:

ـ هل الدين ثابت أم متغيّر؟

الجواب: للدين ثلاثة أبعاد وهي:

أولاً: الرؤية الكونية وتشمل الإنسان والعالم، وكيف ننظم الحياة وفقاً لتلك الرؤية، ولأي هدف نعمل؟

وكيف نطوِّر فهمنا للدين أفضل ممَّن سبقونا في القرون الماضية.

ثانياً: القيم الأخلاقية، وهي ثابتة، كالشجاعة والكرم وروح الإيثار والجهاد ورفع الظلم، وهذه القيم تتكامل بتكامل الإنسان فمثلاً عندما يقول القرآن: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ فأنا اليوم أفهم المعنى بشكل أفضل.

وعندما يقول القرآن: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤﴾، فإن إطعام الفقير والمسكين، كان في ذلك العصر، واليوم كذلك.

ثالثاً: العبادة والأحكام العملية فهي ثابتة وغير خاضعة للتبدل، وهي عبارة عن نظام يشمل الصلاة والصوم والحج وغيرها، فهذه الأحكام تتعلق بالله وببناء الذات.

سؤال: هل الارتباط بالله ينحصر في إطار الصلاة والصوم وسائر العبادات، أم أن هناك طرق أخرى؟

الجواب: الإسلام نفسه يقول: إن الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلائق، لكن هذا لا يعني أن كل إنسان يرتبط بالله كيفما يشاء.

الإنسان يتربط بالله بحالات كثيرة في النوم وفي اليقظة، وعندما يكون جالساً أو راكباً أو ماشياً.

إلا أن الإسلام عيَّن لنا نظاماً جماعياً مشتركاً لبناء ذاتنا، وهو أكثر فاعلية من الأساليب الفردية التي يختار فيها كل شخص طريقته حسب ذوقه.

فهل الجهاد ضد العدو، يعتبر وظيفة لكل شخص كما يشاء، أم هي منظمَّة بجيش وقوات مسلَّحة؟

والحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب

حقوق المرأة ودورها 7
غلبة الثقافة البرجوازية 9
فرويد والمرأة 10
الشرق والاستعمار الغربي 10
تحذير العقول 10
إغتيال المرأة باسم الدفاع عنها 11
المثقف الحديث والأصولي المحافظ 12
بين الدين والتقاليد 12
الرسول والمرأة 14
الدين هو المناعة الكبرى 15
بيت فاطمة 18
بين الغرب والجاهلية 20
قضيّة تعدد الزوجات 21
زواج المتعة 22
الحجاب 23

إذاً ما الذي ينبغي عمله؟ 23
مسألة الحجاب 26
تغيُّر القيَم 28
نظرتان حول مسألة الحجاب 28
مسؤولينا: 30
أسئلة الحضور: 31
محتويات الكتاب 33